التّوليد بالاقتراض ودوره في تنمية العربيّة المعاصرة

Generating by Borrowing and Its Role in The Development of Contemporary Arabic

د-غنية تومي[1,*]

[1] جامعة بسكرة (الجزائر)، ghania.toumi@univ-biskra.dz

تاريخ الإيداع: 2021/05/01 **تاريخ المراجعة**: 2021/05/20 **تاريخ النشر**: 2021/06/30

ملخّص:

تسعى هذه الدّراسة إلى بحث أحد مظاهر نموّ اللّغة، وأبرز أقسام التّوليد اللّغويّ الذي يحدث من خارج اللّغة، وهو التّوليد بالاقتراض الذي يشكّل أداة فاعلة في تكثير ألفاظ اللّغة، ونماء ثروتها اللّفظية، وتطوير المعارف الفرديّة والجماعية، وقد مارسته العربيّة المعاصرة، مواكبة منها للتّطوّر الحاصل في مختلف مناحي الحياة و تغيّراتها المتلاحقة، ما اضطرّها إلى جلب الألفاظ واستعارتها من لغات أخرى خاصّة اللّغات القويّة المسيطرة كالإنجليزيّة؛ وذلك بالتّعبير عن المفاهيم والموجودات المستجدّة على العربيّة المعاصرة عندما تعوزها ألفاظها، ولا تسعفها أدواتها الخاصّة في تنمية الألفاظ. لتصل الدّراسة في ختامها إلى أنّ التّوليد بالاقتراض وسيلة ملحّة لتلبية حاجات الأفراد، وأداة يواكب بها المجتمع المنفتح التّطوّرات الحاصلة حوله، وأنّه دليل انفتاح وليس قصورا من العربيّة، بشرط أن يحدث بوعي ودون إفراط؛ فلا نلجأ إليه إلّا عند غياب المقابل العربيّ الدّقيق حتّى لا ينعكس سلبا على أصالة الثروة اللّفظيّة المعاصرة، ولا يتفوّق الرصيد المصطلحي الأجنبي.

الكلمات المفتاحية: الاقتراض، التوليد، التّعريب، الدّخيل، التّرجمة،العربيّة المعاصرة.

Abstract:

This study seeks to examine the most kind of the sections of linguistic generation that occurs outside the language, which is generation by borrowing. It is an effective tool in the proliferation of language expressions, the growth of its verbal wealth, and the development of individual and collective knowledge, which has been practiced by contemporary Arabic, keeping pace with the progress that is taking place. what compelled it to bring words and borrow them from other languages, especially the powerful dominant languages such as English, by expressing new concepts in contemporary Arabic when their vocabulary is lacking, and their own

**المؤلف المراسل.*

tools .The study concluded that generating by borrowing is an urgent way to meet the needs of individuals, a tool in which an open society keeps pace with developments around it, and that it is a sign of openness and not shortcoming of Arabic,

***Key words**: borrowing, generation, Arabization, outsider, translation, contemporary Arabic.*

تقديم:

عزّزت العربيّة قدراتها التّواصليّة، في كثير من مناحي الحياة مع اللّغات والحضارات الأخرى قديما وحديثا، وبفعل التّفاعل والاحتكاك والحاجة، ولخضوعها لناموس التّأثّر والتّأثير، اعتورها التّغيّر في عدّة مستويات ولم تبق على حالها، فشكّل **التّوليد بالاقتراض** أحد مظاهر نموّها وحركيتها؛ وهو صنف من صنوف **التّوليد اللّغوي** الذي ينشأ من خارج اللّغة لا من داخلها، يقصد به استعارة لغة ما لفظا أو صيغة لفظيّة ما من لغة أخرى، لغياب ما يقابلها في نظامها، من أجل التّعبير بها عمّا ليس لها به عهد من المعاني، وفق طرائق خمس هي: **الاقتراض المدمَج** أو ما يعرف **بالمعرّب**، **والاقتراض الكلّي** أو **الدّخيل**، **والاقتراض الجزئي** أو **الهجين**، والنّوع الرّابع هو **الاقتراض بالتّرجمة** أو **الاقتراض بالتّوليد الدّلالي**. تعمل كلّها بوصفها آليات لرفع الرّصيد اللّفظي للّغة وتنميته عُدَّةً وعددًا، وتطوير المعارف الفرديّة والجماعية، من خلال التّعبير عن المفاهيم والموجودات المستجدّة على العربيّة المعاصرة عندما تعوزها ألفاظها، ولا تسعفها أدواتها وآلياتها الخاصة في تنمية الألفاظ.

إنّ مسعانا في هذه الورقة البحثيّة محاولة الإجابة عن الإشكالات الآتية: ما المقصود بالتّوليد بالاقتراض؟ وما أنساقه في الواقع اللّغوي المعاصر؟ وما مجالات استعماله فيه وما أهمّيته؟ وكيف يمكن الاستفادة منه أداة فاعلة لمجابهة التغيّرات والمطالب المتلاحقة في عصر السّرعة والتكنولوجيا الذي نشهد؟. لنصل في نهاية العمل إلى ما يفيد كونه وسيلة ملحّة لتلبية حاجات الأفراد، وأداة يواكب بها المجتمع المنفتح التّطوّرات الحاصلة حوله، وأنّه دليل انفتاح وليونة وليس قصورا أو عجزا من لغته، اعتمادا على سرد جملة من النّماذج والأمثلة اللّفظيّة من واقع العربيّة المعاصرة.

إنّ التّوليد اللّغوي ظاهرة لغويّة، تعني عملية إنتاج ألفاظ ومعان وتراكيب جديدة لا عهد للقدماء بها، بشرط موافقتها لروح العربيّة ونواميسها؛ فهو " خلق وحدات معجميّة جديدة، تنضاف إلى المعجم العامّ (الكلمات) أو إلى المعجم الخاصّ (المصطلحات)"[1] . ينقسم في أحد أنماط تقسيمه إلى قسمين؛ الأوّل هو التّوليد من داخل اللّغة، والآخر هو التّوليد من خارج اللّغة. أمّا التّوليد من داخل اللّغة فيتفرّع بدوره إلى أنواع حسب مستويات اللّغة؛ فنجد التّوليد الصّوتيّ من: قلب وإبدال وتماثل وتباين، وتوليد صرفيّ من خلال آليتي الاشتقاق والنّحت، والتّوليد التّركيبي من تراكيب إسناديّة وغير إسناديّة. أمّا التّوليد الدّلالي فيحيل إلى المجاز، وتخصيص الدّلالة وتعميمها، ورقيّها و انحطاطها، أمّا التّوليد من خارج اللّغة، وهو مطلبنا و مبتغانا من هذه الدراسة؛ فيقصد به التّوليد بالاقتراض بمختلف تنوّعاته و أشكال حدوثه في واقع العربيّة المعاصرة.

وقبل كلّ ذلك وجب الوقوف على مصطلح العربيّة المعاصرة لنتبيّن ما نبتغي من استعمالنا له في البحث.

أوّلا/ العربيّة المعاصرة

من المفاهيم التي أثارت الجدل بين أهل الاختصاص؛ فقد رأى بعضهم أنه انعكاس لمصطلحات غربيّة تجسّد عندنا، كمصطلح: "الإنجليزيّة المعاصرة" في مقابل "الإنجليزيّة القديمة" التي يعجز عن فهمها الإنجليزيّ العادي، كأعمال وليام شكسبير مثلا، وهذا نجده في عموم اللّغات عبر الأزمنة والأمكنة المختلفة، لكن العربيّة المعاصرة تختلف نوعا ما من حيث إنّها عربيّة العصور السّابقة مع بعض من التّغيير الذي يسهل ردّه إلى أصله إلا النّادر الذي تتعامل معه على أنّه لحن وجب رأبه، فيتلاشى ويزول، وبالتّالي يمكن القول بأنّ العربيّة الغالب فيها الاستقرار والسّكون، فقواعدها وخصائصها هي نفسها.

بيد أنّ هذا لا يعني بالمرّة أنّها خارج الزّمن وأنّها لا تساير العصر ومتطلّباته، بل بالعكس، هي مرنة، وبها من اللّيونة ما يتيح لها استيعاب الحضارة وأدواتها المتغيّرة المتلوّنة المتجدّدة بين حين وآخر، دون خروجها عن إطارها العامّ المؤطّر لها.

وما استقرار العربيّة بهذا الشّكل إلا للوشيجة القويّة التي تصلها بالقرآن الكريم؛ فحفظها من حفظه، وسلامتها من سلامته بل هو النموذج اللّغويّ الفصيح الذي يقتدى به في الكتابة والتّأليف والخطاب الفصيح، وكلّ خروج عن قواعد تأليفه ونظمه ونطقه هو خروج عن نظام العربيّة بكلّ قواعده ومستوياته. إنّ العربيّة المعاصرة هي اللّغة العربيّة الفصحى التي تعاصرنا، وتعيش على ألسنتنا؛ فكلّ" استعمال يحرص على الإعراب ويراعي القواعد الصّرفيّة والصّوتيّة أداء، هو عربيّة فصيحة، على الرّغم من تعدّد مستويات الفصحى؛ فاللّغة الفصحى تختلف باختلاف فنون الأدب: النّثر، والشّعر، والخطابة، والقصّة"[2]. وهي لغة غير ممارسة في الواقع التّواصليّ، ما أدّى لأنْ توصف بأنّها (لغة الكتابة)، وتبقى حبيسة الكتب وقاعات التّدريس ومجالات التّواصل الإخباريّ والإعلاميّ، فجعلها أقلّ عرضة للتّغيّر وأكثر تماسكا وثباتا على أنظمتها وقوانينها مقارنة باللّغة العاميّة التي هي صورة من صور الفصحى التي شابها تغيّر كبير على كثير من مستوياتها، خاصّة منها النّطقيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة.

إنّ حركيّة اللّغة المستمرّة لسدّ حاجات مستعمليها خاصّة عندما يواجهون المفاهيم المستحدثة، لتفرض تفعيل آلياتها وأدواتها للمسايرة والمضي، وشكّلت آلية التّوليد اللّغويّ أجلى تلك الوسائل وأهمّها؛ لـ "تنبثق دلالة تشقّ طريقها بين الحقول المترسّخة في مصفوفة الخانات المخزونة لدى أهل اللّغة حتّى تجد مستقرّها بين زوايا المنظومة القاموسيّة"[3].

وكما ذكرنا آنفا سنفصّل الحديث في مبحث الاقتراض بوصفه آلية رئيسة من آليات تنمية الثّروة اللّغويّة في فصحانا اليوم، وسنستهلّ بالإطار المفاهيمي .

ثانيّا/ التّوليد بالاقتراض: الإطار المفاهيمي

ورد في اللّسان:" و القَرْضُ والقِرْضُ: مايَتَجَازَى به النّاس بينهم ويَتَقَاضَوْنَهُ، وجمعه قُرُوضٌ، وهو ما أَسْلَفَهُ مِن إحْسَانٍ ومِن إسَاءَة(...) ويقال: أَقْرَضْتُ فلانا وهو ما تعطيه لِيَقْضِيكَهُ (...) واسْتَقْرَضْتُ من فلان أي طَلَبْتُ منه القَرْضَ فَأَقْرَضَنِي(...) واقتَرَضَ(...) أصله من القَرْض والقَطْع، وهو افتعال منه"[4]، وذكر الزّمخشريّ قوله:"اقترضت منه كما نقول: استلفت منه"[5]، ومنه فالمعنى الجامع هو تبادل بين طرفين؛ أحدهما يأخذ من

الآخر لينتفع ثمّ يردّه، أي سلفة واستعارة لشيء ما. وغير بعيد عن هذا الإطار، نجد المعنى الاصطلاحي الذي وضع بإزائه؛ فقد نزع كثير من الباحثين والدّارسين إلى أنّ الاقتراض اللّغويّ هو عملية "إدخال أو استعارة ألفاظ أو غيرها، من لغة إلى أخرى، وقد استعمل أهل اللّغات لفظ الاقتراضBorrowing ، والنّقل والاستعارة Emprunt، والإدخال Innovation، وأطلقوا على الألفاظ التي أدخلوها في لغتهم Laon word"[6]. وهو توليد من خارج اللّغة، يعتورها في كلّ الأزمنة والأمكنة؛ ففي العصر الجاهلي عرفته العرب وإن كان بشكل محدود جدّا، لانغلاقها نوعا ما على نفسها، فكانت صلاتها محدودة بغيرها من الأمم والحضارات، ورغم ذلك أقرضت واقترضت، ومع مرور الوقت وتغيّر الأوضاع والظّروف، قوي احتكاكها بغيرها، وازداد انفتاحها على الآخر لاعتبارات عدّة دينيّة واجتماعيّة واقتصاديّة وغيرها، ما جعل التّبادلات اللّغويّة تزداد، وبالتّالي عدد لا بأس به من الألفاظ المستوردة، سواء بإحداث تغيير عليها في بنيتها أو استعارتها كما هي أو الاكتفاء بدلالاتها فقط.

وكانت أغلب المستعارات اللّغويّة ألفاظ علميّة وحضاريّة، أُحصي عددها فوُجِد أنّها تقارب الثلاثة آلاف لفظة فارسيّة، ومئة ونيّف من الحبشيّة والرّوميّة والعبريّة والهنديّة والآراميّة، تقابلها مئات من ألفاظ عربيّة اقترضتها هاته اللّغات من اللّغة العربيّة[7]، ومبتغانا هاهنا ليس تتبّع الظاهرة في الفصحى القديمة، وإنّما في العربيّة المعاصرة، وعليه سيكون التّحليل والتّمثيل من هذه المدوّنة.

ثالثا/ أشكال التّوليد بالاقتراض

لقد تنوّعت أشكال المقترضات وتراوحت في عمومها بين مقترض كلّي، ومقترض جزئي، ومقترض مدمج، ومقترض بذخي، والتّرجمة المقترضة[8]. فما مفهومها وكيف تجلّت ووظّفت في الاستعمال المعاصر؟

1/ المقترض المُدْمَج أو المعدَّل أو المعرّب:

وهو كلّ لفظ مستعار تُغَيَّر صيغته الأصليّة ليلحق بالصّيغ العربيّة وأوزانها وقواعدها، ويبتكر له جذر في العربيّة، فيصبح قابلا للاشتقاق منه، فيكتسي حلّة عربيّة؛ أي هو "ما يدمج في نظام اللّغة، بأن يفقد مظاهر عجمته الصّرفيّة، وبقاس على نمط صيغي عربي (...) والإدماج يكون إمّا لأنّ المفردة المقترضة قابلة لأن تقاس على نمط صيغي عربي قبولا طبيعيّا بحكم بنيتها الأصليّة، وإمّا لأنّ المقترض يعالجها معالجة تتيح لها الاندراج في أحد الجداول الصّيغيّة العربيّة"[9].

و أكثر وجوده في لغة العلوم، بحكم أنّ استعارته من لغة أخرى يكون بطريقة عفويّة، اعتمادا على مبدأ المجهود الأدنى الذي يقود مستعمل اللّغة إلى تغيّر ما يبذل في استعماله جهدا. وفي التّراث العربيّ عرف باسم المعرّب، والتّعريب طريقة نقل تلك الألفاظ للعربيّة، وتشدّد علماء العربيّة آنذاك في نظرتهم له؛ فاعترفوا بالمعرّبات التي نقلتها العربيّة في عصور الاحتجاج، ولم يأبهوا بما سواها من ألفاظ ومصطلحات اقتحمت العربيّة بعد تلك الحقبة[10].

إنّ الخانات الفارغة التي يخلقها اختلاف التّجارب الاجتماعيّة للّغات تسدّها المقترضات التي تمثّل تبادلا لغويّا مهمّا تحتاجه كلّ لغة حيّة نشطة متفاعلة مع محيطها، فمع المخترعات والمكتشفات الغربيّة الحديثة وجدت العربيّة المعاصرة نفسها مضطرّة إلى اقتراض قائمة من الكلمات التي تعبّر عن العديد من الآلات والأجهزة والوسائل والمفاهيم الحديثة التي لم تجد لها ما يشبهها، على سبيل المثال لا الحصر لفظة: **تقنية** التي اشتقّ منها:

تقنّن وتقني وتقنيات، ولفظة: **تلفزيون**، واشتقّ منها: تلفز ويتلفز، فهو متلفز وتلفاز وتلفزيونيّ، وترجمت إلى: المِرناة والرّائي ولم تعيشا فعرّب إلى تلفاز، على وزن (تفعال) والجمع تلافيز، وأيضا لفظة: **تلفون**، واشتقّ منها: تلفن وتلفوني وتلفونيّة، **ومناورة** وأصلها لاتينيManorva ، واشتقّ منها: ناوَر يناور مناوِر ومناورة، و**فاتورة:** أخذ منها فوترة ومفوتر. نلاحظ أنّه حدث مزج بين اللّفظة في صيغتها الأصليّة والمنوال العربيّ؛ لأنّ طبيعة هذه الألفاظ (وغيرها) تقبل التّصيّغ إلى العربيّة، فأمكن الاشتقاق من المفردة الأجنبيّة، ومثلها كذلك لفظة: **دوبلاج** التي أخذ منها: دبلجة على وزن (فَعْلَلَة)، ومُدَبْلَج ومُدَبْلَجَة، ومُدَبْلِج ومُدَبْلِجَة، ويُدَبْلج، ويعني نقل الفيلم من لغة إلى أخرى، **وهرطقة** على وزن (فَعْلَلَة) وهي البدعة في العقيدة عند النّصارى، وأصلها يونانيّ منHaireticos ، و **قانون** على وزن (فاعول) أصلها يوناني من Kanun ومعناها العصا المستقيمة، وصادف تطابقها مع وزن موجود في العربيّة، ليشتقّ منها: قنَّنَ يقنّن مُقَنَّن ومُقَنِّن وتقنين.

إنّ هذه الفئة من المفردات الموافقة لأبنية العربيّة "مخضّعة في الأصل لأقيسة العربيّة، ولا نكاد نلحظ فيها اختلافا عن العربيّة في البنية أو في الأصوات"[11]؛ فالمعرّب نمطان؛ الأوّل تصدق عليه الألفاظ السّابقة التي تتوافق وأبنية العربيّة وأقيستها لموافقتها لها في أصول الأعجميّة، والآخر ماوافقت الأبنية العربيّة وأقيستها مع تغييرات صوتيّة وصرفيّة قد دخلت عليها. وعلى العموم، فقد أقرّ مجمع اللّغة العربيّة هذه الآليّة ونصّ في قرار له على أنّه "يجيز استعمال بعض الألفاظ الأعجميّة عند الضّرورة على طريقة العرب في تعريبهم"[12]، ونلاحظ إجمالا على هذه ألفاظ أنّها تنتمي في غالبها إلى مجال الفنون والحياة العامّة.

2/ المقترض الكّلي أو الحقيقي أو الدّخيل:

وهو ما ظلّ محافظا على مظاهر عجمته، واستعصى على أبنية العربيّة ومقاييسها، ولم يدخل عليه تغيير فبقي متمسّكا بكثير من مظاهر العجمة، وأكثر ما يصيبه من تغيير هو ما يضاف إليه من لواصق (سابقة التّعريف (ال))، أو لواحق الإضافة أو العدد أو النّوع، لكنّ البنية الأصليّة ظلّت أعجميّة لم يشبها تغيير.

و لأنّ نقاء اللّغة دليل فقرها؛ لم تشذّ اللّغة العربيّة عن قاعدة الغنى، وهي اللّغة المتنوّعة الثّريّة، فقد تسرّبت إليها منذ العصر الجاهلي ألفاظ من حضارات وأمم أخرى مجاورة كالفارسيّة والسّريانيّة واليونانيّة، وبعد مجيء الإسلام استوردت من لغات الأقوام التي دخلت الإسلام، كالتّركيّة، والفارسيّة، ولازمها المدد اللّغوي الخارجيّ في العصر الحديث من اللّغات الإنجليزيّة والفرنسيّة والإيطاليّة، والإسبانيّة، فمن قبيل تلك الواردات[13]: **أرستقراطي** من الكلمة الفرنسيّة: Aristocrate بمعنى المترف أو تدلّ على طبقة مجتمعيّة ذات درجة عالية نسبا أو غنى، و **دراما**: نوع من المسرحيّة تتّسم بمواقف عنيفة بين القوى، و **دكتاتور** كلمة فرنسيّة Dictature: بمعنى الحاكم المطلق المستبد، **وروتين** الفرنسيّة أيضا Routine وتعني الدّأب والدّيدن، و **أرشيف** Archive بمعنى دار حفظ الوثائق أو مكان حفظها في مؤسّسة ما، و **استراتيجيّة** كلمة إيطاليّةStrategia يقصد بها التّخطيط العسكريّ أو فنّ قيادة الجيش، و **ديمقراطيّة:** كلمة يونانيّة Democracia وهي نوع من الحكم السّياسي الذي تكون فيه السّيادة للشّعب، واجتماعيّا تعني حريّة الرّأي والتّعبير، اشتقّ منها المصدر دَمَقْرَطَة بمعنى جعل الحكم ديمقراطيّا، وهي صياغة خاطئة لأنّ مصدر الرّباعي يأتي على وزن فَعْلَلَة، والصّواب: دَمْقَرَة، أو دَمْقَطَة، بحذف الرّاء أو الطّاء، **وهيروين** Heroin إنجليزيّة بمعنى مركّب مخدّر مشتق من المورفين، **وهيدروجين** Hedrogen إنجليزيّة وفرنسيّة أصلها يوناني تعني غازا بسيطا، **وهستيريا** Histeria كلمة إنجليزيّة تعني اضطرابا عصبيّا

يسبّب نوبات عنيفة من الضّحك والبكاء، أو يسبّب ضروبا من الأوهام، **هرمون**:Hormone كلمة إنجليزيّة يقصد بها مادة تفرزها بعض الغدد الصّم.

والقائمة طويلة لمثل هذه المقترضات، وهي في نظر الباحثين وأهل الاختصاص تمثّل الاقتراض المعجميّ الحقيقي، وأكثر الأنواع تحقّقا وشيوعا في اللّغة العربيّة المعاصرة؛ تنتقل فيها اللفظة المقترضة بوجهيْها الدّاليّ والمدلوليّ؛ أمّا الدّالّي ففي تأليفها الصّوتي وهيئتها الصّرفيّة، وأمّا المدلوليّ فبانتمائها المقوليّ، وهذا لا يمنع أن يعتورها تغيير شكليّ طفيف بشيء من المعالجات الصّوتيّة والصّرفيّة، لأجل إقحامها في النّظام المعجمي للّغة الجالبة. واللافت للنّظر أنّ ألفاظ هذا النّسق التّوليديّ إنّما تنتمي إلى مجالات الصّحة، والحضارة، والإدارة، ومختلف العلوم.

اقتحمت هذه الفئة من الألفاظ المعجم العربيّ المعاصر، وزاحمت نظيراتها العربيّة بقوّة، فتمكّنت من بسط سيطرتها على الاستعمال المعاصر، وساعدها في ذلك ربّما التّأخّر في تعريب جزء منها، ما أدّى إلى شيوع الدّخيل وتفوّقه على المعرّب، وسبقه إيّاه في الاستعمال والتّداول الحالي، وقد يوعز ذلك إلى اختلاف المجامع اللّغويّة في بعض تعاملاتها مع هذه الألفاظ، فما يجيزه هذا المجمع ربّما يرفضه آخر، أو لعدم الجديّة في تطبيق القرارات، فبعد اتّفاقها على قواعد معيّنة، لا يُلْتَزَم بها عند الكتابة والتّأليف والتّعامل اللّغويّ الفعلي.

يظلّ المقترض الكلّي- في معظمه- عصيّا متمسّكا ببنيته، ورغم ذلك يمكن تقسيمه بحسب المرونة أو الاستعصاء على تغيير هيئته إلى قسمين؛ الأولّ ما حافظ على عجمته في العموم بشيء من التّغيير دون أن يلحق بأبنية العربيّة، والآخر هو مالم يغيّر وبقي متمسّكا بجلّ مظاهر العجمة فيه، ويمثّله الدّخيل المبثوث في المعاجم المتخصّصة، ومصطلحات الطّب والصّيدلة، والعلوم التي نقلتها العربيّة عن غيرها من اللّغات خاصّة الإنجليزيّة ثمّ الفرنسيّة وغيرهما، وعلّة ذلك أنّ ما يهمّ المصطلحيّ هو المفهوم الذي يدلّ عليه المصطلح، وأمّا المعرّب؛ فهو الغالب في ألفاظ اللّغة العامّة؛ لأنّ اقتراضه كثيرا ما يكون عفويّا، ويعتمد على مبدأ (المجهود الأدنى) الذي يقود مستعمل اللّغة إلى تغيير ما يبذل في استعماله جهدا[14].

3/ المقترض الجزئيّ أو المعدَّل أو المقترض الهجين أو المهجّن أو المزج:

كلّها تسميّات لمفهوم واحد يقصد به إحداث تغيير جزئي على الصّيغة المقتَرَضَة التي تكون في الأصل مركَّبَة، تبنّي فبينما يتمّ عنصر من عناصرها، يستبدل العنصر الآخر بعنصر من اللّغة المقتَرِضَة، أو يقع بطريق ما يسمّى بالتّرجمة الجزئيّة، فتقترض الكلمة ويترجم جزء منها إلى اللّغة المقتَرِضَة ويبقى الجزء الآخر كما هو على حاله في لغة المصدر، أي اللّغة المُقْرِضَة، ومثال ذلك مصطلح **صوتيم** المأخوذ من فونيم؛ نصفها الأوّل (فون) ترجم إلى صوت، وأُبْقِيَ على الجزء الآخر (eme)، والأمر ذاته مع مصطلح **صرفيم** المأخوذ من (مورفيم)[15]، ومصطلح **معنيم** (وإن كان قليل الاستعمال) المأخوذ من (سيميم)، و **إسلاموفوبيا** المركّب من جزءين؛ الأوّل عربيّ(إسلام)، والآخر فوبيا بصيغتها الإنجليزيّة(phobia) التي تعني الخوف الشّديد، غير الطّبيعي أو الكراهيّة الشّديدة له.

وقد يكون المزج بين لفظتين من أصلين مختلفين لتشكّل مصطلحا مركّبا، مثلا: البريد الإلكتروني، والزّوم البصري، ومؤتمرات الفيديو، وسوسيولسانيات، وإثنولسانيات.

يسمّى في كتابات بعض اللّسانيّين والباحثين بالتّرجمة الجزئيّة أو التّعريب الجزئي، ويستعمل لغرض تحرّي الدّقة في نقل المصطلحات، ولأنّه أخفّ على اللّسان مقارنة بآليات التّرجمة الأخرى كالنّحت، وتجمع تقنيّة التّرجمة الجزئيّة بين آليتي التّرجمة والتّعريب.

4/ المقترض المترجم أو المقترض بالتّوليد الدّلالي:

من الأهميّة بمكان الإشارة إلى دور التّرجمة في حياة الشّعوب، وربطها لحلقات التّواصل الثّقافي والعلمي والفكري واللّغوي بين مختلف الأمم، ونقصد بها نقل المعاني من اللّغة المترجَم منها إلى اللّغة المترجَم إليها وفق شروط وقيود تكفل حسن أداء المفاهيم والخطابات ككلّ.

ويعدّ المُقْتَرَض المُتَرْجَم أحد ألوان التّنميّة اللّفظيّة، باستجلابه المداليل دون الدّوال من اللّغة المصدَر إلى اللّغة المورِد أو المُقْتَرِضَة، وهاهو مسرد بسيط -على سبيل المثال- لألفاظ أجنبيّة ومقابلاتها العربيّة: الحاكي ترجمة للفظة: غرامافون، والتّصوير الضّوئي ترجمة للفظة فوتوغراف، واللّاقطة تقابل فونوغراف، والبرق ترجمة لتيليغراف، والنّاسوخ للفاكس، والحاسوب للكمبيوتر، والشّبكة العالميّة للأنترنت، والآليّة مقابل ميكانيزم، والحوّامة للهليكوبتير، وهكذا القائمة مفتوحة تضمّ بين ثناياها ألفاظا أغلبها مخترعات ومكتشفات ومنتجات غربيّة وفدت إلينا لتجد خانات فارغة وجب سدّها، فكانت التّرجمة الحرفيّة بمقابلات عربيّة، وضعتها الهيئات والمؤسّسات المتخصّصة، والمجامع العربيّة لتساهم في مسايرة اللّغة العربيّة المعاصرة لموكب الحضارة والتّطوّر والتّكنولوجيا.

و كانت لها طرق شتّى في التّرجمة، من بينها البحث في التّراث اللّغويّ عن ألفاظ عربيّة يمكن أن تقابل تلك الوافدات إلينا، وأكثر ما كان مشكلا في هذه العمليّة الحيويّة هو ألفاظ المفاهيم الحضاريّة والثّقافيّة والعلميّة غير المشتركة بين العربيّة وغيرها.

هذا وتعدّ آليّة البحث في التّراث والاستغلال الإيجابي للمخزون المعجميّ القديم من أكثر ماتنادى به الباحثون المعجميّون العرب حديثا؛ وذلك لأهميّة هذه الطّريقة، وضمان نتائجها، لاتّكائها على الرّصيد اللّغوي القديم، وكلّ كلمة منه تعدّ صحيحة، وقابلة لإعادة الاستعمال، عوض اللّجوء إلى توليد دوال جديدة غير مضمونة، ولِمَ لا **إعادة التّدوير**؛ فهي وإن عدمت صلاحيتها بمرور الوقت، وأصبحت في حكم المُهْمَل يعاد بعثها للحياة من جديد، عبر ربطها بمدلولات حديثة، بمجرّد ظهور دواع مختلفة تُلْجِئ إلى استعمالها، مع التماس أدنى ملابسة، وهذه الطّريقة التّوليديّة وضعت على رأس قائمة قواعد التّوليد اللّغوي وتنمية الثّروة اللّغويّة في العربيّة الحديثة والمعاصرة، ونُصِح بها قبل اللّجوء إلى الطّرائق الأخرى لتنمية وتطوير الثّروة المعجميّة، وتفضّلها على المعرّب والدّخيل وغيرها، وقد قام اللّغويّ إبراهيم أنيس ببحث الأمر؛ فبعد سرده لنا كثيرا من الألفاظ القديمة الصّورة (الدّوال المهملة) الجديدة الدّلالة (المدلولات الوافدة)، مثل: المدفع والدّبابة والسّيارة والقاطرة، والثّلاجة والسّخّان والمذياع والمسجّلة، والجرائد والصّحف وغيرها، وهي كلّها مخترعات ومكتشفات غربيّة حديثة لا قِبَلَ للعربيّ بها، قام بتلخيص الظاهرة بقوله إنّ هذه الألفاظ الكثيرة "التي أحياها النّاس أو اشتقّوها وخلعوا عليها دلالات جديدة تطلّبتها حياتهم الجديدة، وتتمّ هذه العملية عن طريق الهيئات والمجامع اللّغويّة، أو قد يقوم بها بعض الأفراد من الموهوبين في صناعة الكلام كالأدباء والكتّاب والشّعراء، ثمّ تفرض تلك الألفاظ في وضعها الجديد على أفراد المجتمع للتّداول والتّعامل بها..."[16].

- هيمنة الاقتراض الكلّي والمدمج على الدّلالي(المترجم):

تجلّى للدّارسين والمتخصّصين في حقل المعجميّة والدّلالة السّيادة العدديّة للمقترضات الكليّة(الدّخيل) والمدمجة(المعرّب)، على حساب المقترض الدّلالي؛ وربّما مردّ ذلك سببان[17]:

أ/ سبب ذاتيّ: يتمثّل في عجز المتكلّم المعاصر عن نقل معاني الوحدات الأجنبيّ إلى اللّغة العربيّة بسهولة؛ وذلك لطول مُدَدِ الاستعمار التي أبعدته عن كثير من ثروته اللّغويّة، وذخيرته اللّفظيّة الفصيحة.

ب/ سبب موضوعيّ: تبيّنه سيطرة الثّقافة الأجنبيّة على مثيلتها العربيّة، ما دفع بالفرد العربيّ في عصرنا هذا إلى الميل لألفاظ اللّغة المسيطرة لسدّ الخانات الفارغة في العربيّة، عوض التّرجمة عموما، أو الاقتباس من التّراث المفرداتيّ خاصّة.

وللتوضيح أكثر تطالعنا استعمالات لمثل هذه الألفاظ المقترضة كليّا أو بالإدماج، والنّأي عن مقابلاتها العربيّة، على سبيل المثال: أوبرا(ملحنة)، بروفة(تجربة أو تدريبة)، تراجيديا (مأساة)، سيرك (ملعب شعبيّ)، سيناريو (مشهديّة)، كاريكاتور(رسم ساخر)، كواليس(دخائل)، كوميديا(مَسْلاة)، مايسترو (ضابط إيقاع).

5/ المقترض البذخيّ:

وهو نوع أخر من التّوليد بالاقتراض، ميزته أنّه لا تُلجِئ إليه الضّرورة، ولا الحاجة لسدّ الخانات الفارغة في العربيّة المعاصرة، بل يكون من باب التّرف اللّفظي، وباعثه الأساس الانبهار الثّقافي والحضاري بلغات الشّعوب المتطوّرة[18].

إنّه إدراج المتكلّم العربيّ لمصطلحات أجنبيّة أثناء تحدّثه باللّغة العربيّة الفصحى بلا مسوّغ، رغم وجود المقابلات العربيّة الصّحيحة والمتداولة، وتكون الغاية هي التّفاخر والتّباهي وحبّ التّفرّد والتّميّز. وهذا الإنتاج الذّاتي والممارسة اللّغويّة لبعض الأفراد، يكون عفويّا في الغالب، وقد يكون متعمّدا، ولذلك قُسِّم إلى قسمين؛ أمّا الأوّل فيسمّى بمقترض التّفاخر(Snobisme)، وهو مسلك يعمده المتكلّم ليدلّ الآخرين على احتكاكه بلغة الشّعوب المتحضّرة، وعلامة على رقيّه المجتمعي، وثقافته الغربيّة، وإتقانه للغتها، فيكون أداة تباه وتفاخر بالنّفس وإظهار لها. من أمثلته الألفاظ: **الموبايل** ومقابله العربيّ متوفّر هو الهاتف المحمول، ولفظة **سمار تفون** للهاتف الذّكي، و **الواي فاي** ومقابله الشابكة اللاسلكيّة، و **الاستاد** للملعب، و **البسكويت** للمخبوزات المحلاة.

الملاحظ أنّ هذه الألفاظ وما جرى مجراها مستعمل كثيرا في لغة الصّحافة لسهولتها، وللتقرّب أكثر من القرّاء الذين يتداولونها في حياتهم اليوميّة، بل واقتحمت حتّى المعاجم العربيّة المستعملة، ما يؤثّر على فصاحة العربيّة مع مرور الزّمن، ويجعلها تحلّ محلّ مقابلاتها العربيّة الصّحيحة والمعروفة لدى المتكلّمين بالعربيّة الفصحى. أمّا القسم الآخر فهو مقترض حبّ الغرابة(Exotisme)، وسببه حبّ بعض الأشخاص للكلمة الغريبة لما فيها من جاذبيّة وتفرّد و جِدّة[19].

الخاتمة: صفوة القول و زبدته نسردها في النّتائج الآتية:

1. إنّ التّوليد بالاقتراض مصدر ثرّ لسدّ حاجات التّغيّر بأبسط المناويل، خاصّة في مجال العلوم المختلفة.
2. تتأقلم الألفاظ العربيّة الأصيلة بالمقترضة لتصبح كيانا تواصليّا مسايرا للتّطوّر والحضارة.

3. بفضله زادت الثّروة اللّفظيّة ونمت شكلا ومضمونا، وزادت الحصيلة المعرفيّة، وسهل التّلاقح بين اللّغات و متكلّميها.

4. تتجلّى أهميّة هذا الصّنف من الدّراسات في الإعانة على معرفة تاريخ ومنشأ الألفاظ المقترضة، ومسار حركتها وأحواله.

5. الاقتراض اللّغوي و إن كان في مجمله أداة فعّالة **لتكثير** ألفاظ العربيّة، فهو من جانب آخر سبب لزوال ألفاظ عربيّة أصيلة، نتيجة غلبة انتشار المقترضة على حسابها.

6. يشترط من أجل نجاعة هذه الظاهرة وإيجابيتها أن تحدث بوعي وتروٍّ دون إفراط؛ فلا نلجأ إلى الاقتراض إلّا عند غياب المقابل العربيّ الملائم حتّى لا تنعكس سلبا على أصالة الثروة اللّفظيّة العربيّة، ولا يتفوّق الرصيد المصطلحي الأجنبي، و لا يشيع و يترسّخ في الواقع اللّغويّ العربيّ المعاصر على حساب اللّفظ الأساس اللّفظ العربيّ الأصيل؛ فالمستعار وإن انسجم وتكيّف في مكنون الثّروة اللّفظية بيد أنّه يظلّ مستعارا ولفظا من الدّرجة الثّانيّة؛ لأنّ اعتزازنا بلغتنا وأصالتها سدّ منيع للمدد الخارجيّ، والمطلوب إجراءً وتفعيلاً، وقبل اللجوء إلى الاقتراض، الاستلهام من التّراث وإحياء بعض ألفاظه التي تُنُوسِيَت أو أُهْمِلت، ومحاولة توظيفها مقابلات للمفاهيم الجديدة، ثمّ الانتقال إلى آليّة الاقتراض اللّغويّ من اللّغات الأخرى، مع شرط جوهري يتمثّل في إخضاع عمليّة الاستعارة لعملية تأطير دقيقة ومنظّمة على مستوى الهيئات والمجامع اللّغويّة والجامعات العربيّة، أو على مستوى الاجتهادات الفرديّة للباحثين والدّارسين والموهوبين؛ وذلك بفحص دقيق للمقترضات، وغربلتها وتكييفها الجيّد والسّلس مع قواعد وأصول الأنظمة الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة للّغة العربيّة المعاصرة، إضافة إلى التّطبيق الصّارم والموحّد لقرارات المجامع اللّغويّة العربيّة، وتوسيع دائرة تطبيقها على كافة ربوع الوطن العربيّ والإسلاميّ.

هوامش وإحالات المقال

[1] - عبد العزيز العزيز المطاد، (المصطلح العربي وقضايا التّوليد)، مجلة دراسات مصطلحيّة، ع:6، ف2006م، ص109.

[2]- محمد محمد داود، لغويات محدثة في العربيّة المعاصرة، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة-مصر، 2006م، ص17

[3]- عبد السّلام المسدّي، (المصطلح النّقدي وآليات صياغته)، مجلّة علامات، نادي جدّة الأدبي الثّقافي، جدّة، مج:02، ع: 08، 1998م، ص56.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، ضبط خالد رشيد القاضي، دار صبح بيروت-لبنان، وإديسوفت، الدّار البيضاء- المغرب، ط1، 2006م، مادة [ق ر ض].

[5]- الزّمخشريّ، أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت- لبنان، (د.ط)، 2000م، مادة[ق رض].

[6]- سميح أبو مغلي، تعريب الألفاظ والمصطلحات و أثره في اللّغة والأدب، دار البداية، عمّان- الأردن، ط1، 2010م، ص41.

[7]- ينظر: يوسف وغليسي، إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009م، ص88.

[8] - ينظر: إدير نصيرة، (ترجمة مصطلحات الاتّصالات السّلكيّة واللّاسلكيّة – دراسة تحليليّة من خلال ترجمة القانون: 2000-03، والنّصوص التّشريعيّة والتّنظيميّة)، رسالة ماجستير مخطوطة، معهد التّرجمة، جامعة الجزائر، 2007م، ص45-46.

[9]- إبراهيم بن مراد، مقدّمة لنظريّة المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، ص162.

[10]- ينظر: عبد الله بن أحمد محمد القليصي، التّوليد اللّغوي- دراسة وصفيّة في المستويات والمظاهر كتاب (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) للقاضي التّنوخيّ أنموذجا، دار غيداء للنّشر والتّوزيع، ط1، 1438هـ/2017م، ص71.

[11]- الحبيب النّصراوي، (التّوليد بالاقتراض في مصطلحات الصّيدلة خلال القرن الثّالث الهجريّ (التّسع الميلاديّ) تطبيق على(الكتاب المنصوريّ في الطّب)، للرّازيّ)، مجلّة المعجميّة، تونس، ع: 20، 2004م، ص89.

[12]- مجمع اللّغة العربيّة، قرار التّعريب، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة، (د.ت)، (د.ع).

[13]- هذه الألفاظ الدّخيلة مستلّة من كتاب الباحث ف عبد الرّحيم، معجم الدّخيل في اللّغة العربيّة الحديثة ولهجاتها، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1، 1432هـ/ 2011م، ينظر الصفحات على التّوالي: 23-24، 105، 114، 24، 26، 109، 219، 219، 215-216، 215.

[14]- ينظر: إبراهيم بن مراد، مقدّمة لنظريّة المعجم، ص162.

[15]- محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين: الثّنائيّة اللّغويّة، دار الفلاح للنّشر والتّوزيع، عمّان – الأردن، ط: 2002م، ص96.

[16]- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة- مصر، ط3، 1972م، ص162.

[17]- ينظر: محمد شندول، (التّوليد بالاقتراض الدّلالي في العربيّة الحديثة ومنزلته في القاموس الثّنائي)، مجلّة اللّغة العربيّة ، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، ع:37، 30سبتمبر/ أيلول 2017م، ص 248-249.

[18]- ينظر: إبراهيم بن مراد، مقدّمة لنظريّة المعجم، ص50.

[19]- ينظر: إدير نصيرة، (ترجمة مصطلحات الاتّصالات السّلكيّة واللّاسلكيّة – دراسة تحليليّة من خلال ترجمة القانون: 2000-03، والنّصوص التّشريعيّة والتّنظيميّة)، ص 123-124.

قائمة المراجع:

1. عبد السّلام المسدّي، (المصطلح النّقدي وآليات صياغته)، مجلّة علامات، نادي جدّة الأدبي الثّقافي، جدّة، مج:02، ع: 08، 1998م.
2. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة- مصر، ط3، 1972م.
3. إبراهيم بن مراد، مقدّمة لنظريّة المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1997م.
4. إدير نصيرة، (ترجمة مصطلحات الاتّصالات السّلكيّة واللّاسلكيّة – دراسة تحليليّة من خلال ترجمة القانون: 2000-03، والنّصوص التّشريعيّة والتّنظيميّة)، رسالة ماجستير مخطوطة، معهد التّرجمة، جامعة الجزائر، 2007م.
5. الحبيب النّصراوي، (التّوليد بالاقتراض في مصطلحات الصّيدلة خلال القرن الثّالث الهجريّ (التّسع الميلاديّ) تطبيق على(الكتاب المنصوريّ في الطّب)، للرّازيّ)، مجلّة المعجميّة، تونس، ع: 20، 2004م.
6. الزّمخشريّ، أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت- لبنان، (د.ط)، 2000م.
7. سميح أبو مغلي، تعريب الألفاظ والمصطلحات و أثره في اللّغة والأدب، دار البداية، عمّان- الأردن، ط1، 2010م.
8. عبد العزيز العزيز المطاد، (المصطلح العربي وقضايا التّوليد)، مجلة دراسات مصطلحيّة، ع:6، ف2006م.
9. عبد الله بن أحمد محمد القليصي، التّوليد اللّغوي- دراسة وصفيّة في المستويات والمظاهر كتاب (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) للقاضي التّنوخيّ أنموذجا، دار غيداء للنّشر والتّوزيع، ط1، 1438هـ/2017م.
10. ف عبد الرّحيم، معجم الدّخيل في اللّغة العربيّة الحديثة ولهجاتها، دار القلم، دمشق- سوريا، ط1، 1432هـ/ 2011م.
11. مجمع اللّغة العربيّة، قرار التّعريب، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة، (د.ت)، (د.ع).
12. محمد شندول، (التّوليد بالاقتراض الدّلالي في العربيّة الحديثة ومنزلته في القاموس الثّنائي)، مجلّة اللّغة العربيّة ، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، ع:37، 30سبتمبر/ أيلول 2017م.
13. محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين: الثّنائيّة اللّغويّة، دار الفلاح للنّشر والتّوزيع، عمّان – الأردن، ط: 2002م.
14. محمد محمد داود، لغويات محدثة في العربيّة المعاصرة، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة-مصر، 2006م.
15. ابن منظور، لسان العرب، ضبط خالد رشيد القاضي، دار صبح بيروت-لبنان، و إديسوفت، الدّار البيضاء- المغرب، ط1، 2006م.
16. يوسف وغليسي، إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009م.